سمات وخصائص البدو الرحل

إعداد

مصطفى كمال عبد الموجود عيد

إشراف:

أ.د/ محمود عبدالحميد حسين علي كمال
أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
بكلية الآداب
جامعة دمياط

د/ مصطفى محمود مصطفى إبراهيم
مدرس علم الاجتماع
كلية الآداب
جامعة دمياط

ثانياً: خصائص البدو الرحل

سوف يتناول الباحث أهم سمات وخصائص البدو الرحل من خلال التعرف على أهم النظم والقيم الاجتماعية البدوية التي تميز المجتمع البدوي عن غيره من المجتمعات .

والنظم الاجتماعية البدوية هي الأوضاع التي يصطلح عليها المجتمع لتنظيم العلاقات بين الأفراد في مختلف شئونهم، وهي طرق التفكير والعمل السابقة في نشأتها وقيامها على وجود الأفراد، يخلفها المجتمع ويلتزم بها الأفراد بالخضوع والطاعة لأنها من أهم مقومات تراثهم الاجتماعي. وقد نشأت هذه القواعد في أول الأمر دون إعداد أو قصد لأن الانسان كان يجتمع بالانسان الأخر بطريقة ميكانيكية بحتة، كما كان يجاهد مع غيره للحصول على ما يعيشون عليه، ويتعاون معه ضد الأخطار التي كانت تحيط بهم جميعاً، ثم تكون بعد ذلك وبمرور الوقت للانسان ما عرف من عادات وتقاليد ونظم وطبقات وجماعات ثم تكون من كل هذا في النهاية ما يعرف بالنظم الاجتماعية[i] .

والنظم الاجتماعية هي الأنساق ذات الأبنية المنظمة والثابتة نسبياً من السلوك والإتجاهات والأهداف والأشياء المادية والرموز والمثاليات والتي تحدد اتجاه أغلب جوانب الحياة الاجتماعية[ii] .

ويتضح من معنى النظم انها تنتمي في معظمها لثقافة الجماعة، وبهذا فهي جزء من المستوى المعياري لطريقة حياة الجماعة ولكنها تدخل من حيث العلاقات وتنظيم الأدوار في البناء الاجتماعي، ويتشكل كل نظام اجتماعي ضمن نشاط اجتماعي يرتبط بحاجة أو أكثر، ويكتسب النظام صفته واسمه من نوع النشاط وأنماط السلوك والمعايير المرتبطة بها، وبهذا فقد تختلف النظم الاجتماعية بإختلاف الجماعات والمجتمعات[iii] .

١- النظام الاقتصادي

النظام الاقتصادي يختلف من مجتمع لآخر بسبب توجه الناس ونظرتهم للأشياء التي يطلبونها متفاوتة، ولقد عرفت الإنسانية منذ تاريخها الطويل أشكال متعددة من النظم الاقتصادية كمرحلة الصيد والرعي والزراعة وجمع الثمار، وبعدها عرف الإنسان مرحلة الصناعة وتطورت

الأخيرة وحلت الآلة محل العمل اليدوي، وأصبح النظام الاقتصادي الحديث يأخذ أشكال مختلفة من مجتمع لآخر، والنظام الاقتصادي في المجتمع البدوي يقوم على البحث عن الطعام بصورة رئيسة[iv] . ومن أهم العناصر التي تشكل نمط الحياة الاقتصادية في ذلك المجتمع هي الحيوان والبئر والأمطار، والتنظيم الاقتصادي ضروري لحياة تلك المجتمعات لارتباطه الوثيق ببنائهم الاجتماعي ونظامهم الحكومي والتكنولوجي، وأن نوع النشاط الاقتصادي أثر في بعض جوانب السلوك الاجتماعي كسهولة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد[v] .

والبدوي يحيا في الصحراء تحت ظروف قاسية يستخلص رزقه بالجهد والعرق من براثن الطبيعة من التقاط الثمار والأعشاب، وما تعطيه الصحراء من صيد، وهذا الاقتصاد يقوم أساساً على البحث عن الطعام، فالبناء الاقتصادي القائم بسيط ويلبي احتياجاتهم لأنه في المركز الأول معاشاً، ولكن هذا لا يمنع أن نفهم قدرة هذه الجماعات المحدودة على بيع بعض منتجاتها التي قد تزيد عن حاجتها الاستهلاكية، وبخاصة اللحوم والمنتجات الحيوانية بأنواعها ومن ثم يتم التبادل الاقتصادي من استيراد الملابس والأدوات المعيشية أو تصدير اللحوم والمنتجات الحيوانية[vi] .

ونظراً لأن الفرد هو العامل الأساسي في البناء الاقتصادي نستطيع أن نقول أنه لا يوجد نظام تقسيم العمل بمعناه الصحيح وإن وجد فهو يقوم على بعض الأسس الذاتية، حيث يقتصر الأشتراك فيه على فئة معينة من المجتمع سواء ارتكز الاختيار في هذه الفئة على أساس الجنس أو السن[vii] .

وكان من نتيجة تقسيم العمل على أساس من الجنس أن اختص الرجال بمختلف الأعمال الإشرافية إلى جانب الصيد والفروسية والتمثيل لدى الغير، بينما اختصت النساء ويعاونهن الأطفال بجمع الطعام وصيد الأسماك ورعي الماشية وتربيتها، كل هذا إلى جانب قيام النساء باستزراع بعض النباتات بالطرق البدائية إلى جانب قيامهن بمهامهن الأساسية في تربية الأطفال وغزل الصوف واعداد الطعام .... الخ

أما عن تقسيم العمل المرتكز على السن فيتمثل أساساً فيما يحصل عليه كبار السن من مكانة خاصة تقديراً لخبراتهم وبلائهم في الماضي، لذلك فهم حفظة التراث ورواة السير الشعبية والمرجع عند كل محنة، وهم معلموا الجيل ومؤدبوه، وأكثر من هذا فهم كهنته وحكامه وقواده وقضاته[viii] . وطبيعة هذا التقسيم تتسم بالجمود وهي غير قابلة لأي تغيير قد يطرأ عليها حتى لو أدى ذلك إلى تعطيل العمل كلياً في المجتمع[ix] .

والبدوي في لجوئه إلى مصادر الرزق الجديدة هذه قد يستوطن ويتحول عن حرفته التقليدية وقد يعود مرة أخرى بعد زوال الظروف التي أقعدته عن الترحال والرعي[x] .

ومن العوامل الرئيسية في تشكيل الملامح العامة لاقتصاديات البادية من قديم الأزل هي الحيوان والبئر والوادي علاوة على المطر، فالحيوان – سواء كان ابلاً أو أغناماً أو ماعزاً أو بقراً – له دور واضح في الاقتصاد البدوي وفي حياة البدوي فهو الذي يحدد دورة تجوال القبيلة فضلاً عن أنه عنوان مكانتها بين سائر القبائل وهو الميزان الذي توزن به قيمة البدوي الحقيقية .

فالحيوان فوق هذا مصدر هام من مصادر الطاقة والحياة في البادية فهو – إن كان جملاً – المركب السهل الذي يجوب البادية متحدياً وعورتها وقسوتها، وهو مصدر البدوي الوحيد إذا ما اشتهى لبناً أو لحماً أو حتى ملبساً ومسكناً فوبر الجمال يمكن غزلها ليصنع منها في النهاية الملبس وبيوت الشعر وغيرها من مهمات البدو، ويتناوب كلاً من الابل والضأن مركز الصدارة بين حيوانات البادية، فالجمل سيد الموقف في المناطق الشديدة الجفاف، ويلتقط الضأن منه هذه المكانة في المناطق شبه الجافة أو التي تحظى بمورد ثابت للمياه، ومن هنا تتضح المكانة المرموقة للحيوان أيا كان في اقتصاديات البادية ويضاعف من أهمية هذه المكانة ما يرتبط بالحيوان من منتجات[xi]، فالألبان واللحوم والجلود والأصواف هي المادة الخام للصناعات البدوية البسيطة[xii] .

كما يمكن القول بأن الثروة التي يمتلكها البدوي هي عبارة عن ثروة مجمدة تقريباً لأنها لا تدخل ميدان الإنتاج، أي بمعنى أنه ليس للبدوي دور فعال في انتاج المواشي بل كل ما يعمله

هو رعيها والعناية بها وبمواليدها، وهنا يمكن القول أن الإنتاج البدوي إنتاج طبيعي تتحكم فيه الطبيعة ولهذا تكون الإنتاجية في الإنتاج البدوي غير مباشرة .

وهكذا يمكن القول بإن النسق الاقتصادي البدوي يقوم على الاقتصاد المعيشي في البادية الذي يتسم بعدم التنوع في الإنتاج، فهو قائم على تربية المواشي وبيعها أو بيع منتجاتها، وبالتالي فإن الاقتصاد البدوي بشكل عام يمكن وصفه بأنه اقتصاد يتجه نحو الإيفاء بالضروريات، إذ أنه يترك الأمور الإنتاجية تسير مع الطبيعة ويحكمها القدر وتتحكم فيها الطبيعة . هذا واتضح من خلال الدراسات التي أجريت عن المجتمعات البدوية أن الاقتصاد البدوي بالإضافة إلى اعتماده على المواشي فإنه يعتمد أيضاً على التجارة، فقد كانت المجتمعات البدوية ولا تزال حلقة وصل بين الدول العربية بعضها البعض وبين غيرهم من الشعوب الأخرى، ورغم كل ذلك فإن الاقتصاد البدوي غير مستقر لأنه يعتمد أساساً على عوامل متقلبة وغير ثابتة، فمن وجود الأعشاب إلى نزول الأمطار إلى الأمراض التي تصيب المواشي، كل هذه الأمور لا يمكن التحكم فيها، كما أنه لا يمكن التحكم في التجارة التي يتعاطاها البدو فهي تخضع أيضاً لعوامل سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية لكل بلد على حده[xiii] .

ويعتمد اقتصاد القبائل البدوية على رعي الأغنام أو الإبل، كما تزاول بعض تلك القبائل وفي مجالات محددة زراعة الحبوب في مناطق معينة من الصحاري العربية[xiv] . والمجتمعات البدوية تمارس الزراعة المتنقلة أو الزراعة غير المستقلة أو الزراعة غير الكثيفة ويمتاز اقتصادهم بأنه اقتصاد معاشي في الدرجة الأولى[xv] .

وتشير دراسة أجريت على مجموعة من البدو القاطنين في احدى الدول العربية بإمتهانهم العمل الزراعي والحرفي والحفاظ على حرفتهم الأساسية الرعي في الوقت نفسه([xvi])، وكان سبب قبولهم العمل المذكور نتيجة موردها المادي المجزي، وأدى البترول دوراً كبيراً في اقتصاديات بعض البوادي العربية فضلاً عن الاستكشافات التي تظهر في كل وقت متمثلة في المناجم والمعادن الأخرى التي تؤثر بدورها على البداوة العربية مما أدى ذلك إلى حدوث ظاهرة الهجرة من البادية إلى مراكز الإنتاج وتكوين طبقة من العمال المهرة والفنيين[xvii]، ويعد اكتشاف

البترول من أكبر العوامل تأثيراً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية على نمط الحياة البدوية، ولكن عادات البدو لا تزال قائمة لديهم كالزواج من بنت العم واحتفاظ الأسرة البدوية بعاداتها وتقاليدها ومراقبة السلوك الاجتماعي للفرد[xviii] .

٢- نظام القرابة

يعتبر النسق أو النظام القرابي في المجتمعات البدوية خير مدخل لفهم البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات نظراً لتشعب الموضوعات التي يتفرع إليها ذلك النسق واتصاله اتصالاً قوياً ببعض الأنساق الاجتماعية السائدة في تلك المجتمعات، ومن هنا يحتل موضوع القرابة وما يتصل به من موضوعات تتعلق بالزواج والعائلة من ناحية وبالتنظيم القبلي والعشائري من ناحية أخرى مركزاً رئيسياً في دراسة المجتمعات البدوية[xix] .

والنسق القرابي يقصد به العلاقة أو الرابطة التي تربط الأفراد والجماعات بعضهم ببعض وهذه الرابطة تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لآخرى . وفي المجتمع البدوي يقوم النسق القرابي على الرابطة الدموية، ويحكم هذا النسق البناء الاجتماعي للمجتمع البدوي والعلاقات الاجتماعية بين أفراده، كما يترتب عليه التزامات وأدوار ووظائف اجتماعية يقوم بها الأفراد لتدعيم هذا البناء . فالأولاد في الأسرة الواحدة يحترمون والديهم وكل من يقربهم أي درجة قرابية بحكم الصلات والروابط الدموية، ويقومون بأدوار ووظائف أخرى يحددها النسق القرابي من ناحية الحفاظ على سمعة العشيرة أو الأسرة والذود عنها وحمايتها وتدعيم ابنيتها الاقتصادية والاجتماعية والدينية، كما أن الأسرة التي تربطها علاقات دموية مع الأسر الأخرى يقوم أفرادها بأدوار ووظائف تقوم على أساس الرابطة الدموية والرابطة الدموية ذاتها تلعب دوراً كبيراً في بعض الظواهر كالثأر مثلاً بحيث لا يشترك في القتال فيه إلا من تربطه رابطة دموية بالقبيلة أو العشيرة التي وقع عليها الإعتداء[xx] .

وبالإضافة إلى ذلك تلعب الفرابة دوراً هاماً في التنشئة الاجتماعية في المجتمعات البدوية، فللأعمام والأخوال وظائف في تربية الأبناء وهم يشاركون الأب في تقويمهم واختيار أزواجهم، كما أن علاقات القرابة تسمح بالمزاح أو تفرض التحاشي بين أعضاء الجماعات القبلية

المتمايزة، وتنعكس القرابة في النشاطات الترويحية فأبناء القبيلة يقفون صفاً واحداً يؤدون رقصاتهم في المناسبات المختلفة، وتتجاور خيامهم في الموالد الدينية، ويمكن القول بإيجاز شديد أن الفرد في المجتمعات البدوية يشبع الجانب الأعم – إن لم يكن كل حاجاته الاجتماعية – في دائرة الأقارب، فمنهم يختار زوجه وهو يشاركهم في الموارد المائية والمراعي ويعطيهم أولوية خاصة في التعامل بالسوق حيث يفرض العرف اللجوء إلى السمسار القريب[xxi] .

ويتألف النسق القرابي للمجتمعات البدوية من الوحدات القرابية التالية:

١- القبيلة

القبيلة هي وحدة اجتماعية متماسكة تتكون من مجموعة أفراد، لهم عاداتهم وتقاليدهم ونظامهم الاجتماعي، والنظام القبلي هو محور أساس الحياة الاجتماعية البدوية، وهي تمثل محور النشاط السياسي ويؤدي الشيخ (شيخ القبيلة) دوراً مهماً في ذلك النشاط[xxii] . فضلاً عن أنها وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية من حيث شبه اكتفائها الذاتي وصلتها بالقبائل الأخرى والمجتمع والعالم، والقبيلة كبناء كبير فإنها تتكون من عدة أبنية صغيرة تدعى الفصيلة والبطون والفخذ والعشيرة، وعادة ما يكون لكل قبيلة مجلس بمثابة ندوة لأهل العشيرة، يستطيع كل فرد من أفراد القبيلة حضوره والتحدث فيه، ومجلس القبيلة مؤلف من شيوخ العشائر والافخاذ والأسر[xxiii] .

وتأتي القبيلة على رأس التنظيم الاجتماعي للمجتمع البدوي حيث نظر إليها معظم المفكرين والباحثين على أنها أم التنظيم البدوي وأساسه، وأن شيخ القبيلة أو زعيمها ومستشاريه من العشائر مسئولون عن وضع النظم السياسية والاقتصادية وتنفيذها، ومسئولون عن تمثل الأفراد والجماعات لمجمل الأعراف والقيم والمعتقدات والتقاليد التي اتفق عليها القوم بغض النظر عن حرية الفرد كفاعل اجتماعي في قلب الجماعة التي ينتمي اليها[xxiv] .

وان القبيلة كرأس للتنظيم الاجتماعي البدوي تكاد تكون ظاهرة عالمية موجودة في معظم المجتمعات البدوية، والقبيلة كتنظيم هي أصلاً مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي ويرأسها أمير أو شيخ الشيوخ وفي بعض المجتمعات يطلق عليه الناظر وهو الرئيس الأعلى لجميع الفروع الأساسية والثانوية للقبيلة، وسلطة هذا الرئيس في معظم الأحوال تكون وراثية، وأن

له عدة مسئوليات تجاه مجتمع القبيلة ويعاونه مجلس القبيلة وذلك في مختلف أمور الحرب والسلم وعقد الاتفاقيات مع بقية القبائل الأخرى، فضلاً عما أضافته عليه النظم الدولية الحديثة، حيث اعتبرت معظم الحكومات زعيم القبيلة وسيطاً جيداً ومقبولاً بينها وبين القبائل الأخرى . وتعتبر القبيلة مجتمعاً متماسكاً يتصف بالتضامن وسيادة روح الجماعة ولكل فرد فيها دور معين يقوم به، وقد تتضافر مجموعة من الأفراد للقيام بدور ما، المهم أن كل بدوي يؤدي دوره في تكامل مع أدوار الآخرين، وتجمع الكل وحدة الأصل والهدف القائمة منذ الماضي والمستمرة عبر الحاضر والمستقبل، وعلى الجميع أن يحافظ على مصادر الرزق بإعتبار أنها ملك للقبيلة ككل، بل عليهم أن يرعوا كل ما ورثوه من عادات وتقاليد وقيم ويعلموه لصغارهم سواء بالتلقين أو بالممارسة وتلعب الأساطير ومآثر الآباء والأجداد وحكاياتهم دوراً مهماً في هذا الشأن[xxv] .

وعلى أفراد القبيلة مسئوليات كثيرة أهمها المحافظة على سلامة الأرض ومواردها من أي اعتداء خارجي واستتباب الأمن والنظام والمحافظة على تراثها الاجتماعي، وفي حالة عدم امكانية قبيلة معينة الحفاظ على كيانها الاجتماعي والدفاع عنه تفضل الاندماج مع قبيلة آخرى تعد من أقرب القبائل نسباً[xxvi] .

٢- العشيرة

يتفق الباحثون الانثروبولوجيون عندما يستخدمون مصطلح للعشيرة للدلالة على شكل معين من أشكال التنظيم الاجتماعي حيث تربط بين أفرادها رابطة القرابة التي تسير في خط معين سواء عن طريق الأب أو عن طريق الأم وقد يسودها نظام للزواج الخارجي، وهذا النمط من أنماط التنظيم العشائري يتميز بإنعدام مظاهر التفاضل الاجتماعي بين أعضائه وبخاصة ما يقوم منها على أساس الانتماء إلى سلف معين من أسلافها[xxvii].

وتمثل العشيرة مجموعة من الأفراد يعتقدون بإنتسابهم إلى سلالة واحدة أباً عن جد لعدة أجيال وينحدرون من أصل واحد، ويشتركون في منظومة واحدة ومتقاربة من القيم والعادات والتقاليد وتربطهم مجموعة علاقات والتزامات اقتصادية واجتماعية متبادلة[xxviii] .

والعشيرة وحدة اجتماعية تعد امتداداً للأسرة وتأتي في الدرجة الثانية بعد القبيلة من ناحية الأهمية والوظيفة، وتتميز العشيرة بتسلسل قرابي معين، ويعتقد أفراد العشيرة الواحدة

بوجود جد واحد مشترك تكونت من نسله العشيرة، وتمثل العشيرة وحدة اجتماعية يسودها التضامن الاجتماعي ويترتب على هذا التضامن شعور جميع الأفراد بالأمن والاستقرار، كما تقوم العشيرة بعملية الضبط الاجتماعي وتوفير الأمن وذلك عن طريق قيام رئيس العشيرة ومعاونيه بالإشراف على تطبيق القوانين التي تتمثل في مجموعة من التقاليد والأعراف[xxix] .

وتعرف العشيرة بأنها تتكون من اتحاد عدد من الأسر وربما الأفخاذ والبطون والتي تشترك جميعها في نسب واحد توجد بينهم مجموعة من الحقوق والواجبات فضلاً عن المصالح الاجتماعية والاقتصادية تجعلهم يسكنون متجاورين حتى يسهل عليهم أمور المدافعة ضد أي عدوان خارجي من جهة ومن جهة آخرى تنظيم مختلف نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية وفق تقاليد وأعراف مرعية ومن خلال رئاسة دنيوية ودينية أبوية ووراثية في معظم الأحوال[xxx].

٣- الأسرة

الأسرة مؤسسة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد ترتبطون ببعضهم البعض بمنظومة من الروابط الاجتماعية والاخلاقية والروحية والنفسية وهذه الروابط هي التي تميز الأسرة عن غيرها من المجموعات القرابية الآخرى، والأسرة هي أبسط صور القرابة وعلى أساسها تقوم أشكال وصور العائلات الأكثر تعقيداً وتركيباً والمقصود هنا بالأسرة هي الجماعة التي تتكون من الأبوين والأولاد وهي الأساس الذي تقوم عليه الجماعات الزوجية أو المنزلية التي تتألف من أشخاص يعيشون في بيت واحد وتقوم بينهم علاقات وثيقة في حياتهم اليومية[xxxi] .

وسوف نتحدث بشكل اكثر استفاضة عن النظام الاسري في النقطة التالية

٣- النظام الاسري

الأسرة هي نواة القبيلة الأولى، وأصل للحياة الاجتماعية، منها ينال البدوي الأسم وعنها يرث التقاليد، وإليها يرجع الفخر ومن صلبها ينحدر كل الرؤوساء، فالأسرة حافظة للنسب ومدافعة من أن يمسها الدنس أو الرجس[xxxii] .

والأسرة البدوية هي نواة التكوين الاجتماعي عند البدو، مثلهم في ذلك مثل سائر المجتمعات البشرية، والأسرة البدوية أسرة أبوية، حيث الأب هو رئيس الأسرة، له حق الطاعة

على جميع أفرادها، أما حقوق الأسرة ومكانتها في العشيرة فتتناسب طردياً مع ما عندها من مال ورجال . ويحرص البدو على إنجاب أكبر عدد ممكن من الذكور، لأن كثرة الأبناء الذكور تعد في أعرافهم عاملاً هاماً من عوامل العز والهيبة للأسرة في العشيرة، وللعشيرة في القبيلة، وللقبيلة بين القبائل الآخرى، إلا أن ارتفاع نسبة الوفيات بين المواليد عند البدو تذهب بإرتفاع نسبة الولادات، وترتفع نسبة الوفيات بسبب نقص الرعاية الصحية، وتدني المستوى الثقافي، وتخلف أساليب التوليد، وضعف العناية بالحامل، وكلها عوامل تعود إلى تدني المستوى الاقتصادي والثقافي . وعلى الرغم من ذلك، فإن معدل زيادة السكان عند البدو تظل أعلى مما هي لدى السكان الآخرين في البلاد التي يعيشون فيها، ويعود ذلك إلى كبر الأسرة، وتعدد الزوجات وأنماط التفكير الفطرية . ووظائف الأسرة لدى البدو أوسع منها لدى الأسرة عند الفلاحين في الريف والمدينة، فالأسرة البدوية لا تزال تقوم بوظائفها الاقتصادية والتربوية والثقافية والدينية حتى اليوم[xxxiii] .

والمجتمع البدوي تسوده عدة نماذج أسرية نوجزها فيما يلي([xxxiv]):

١- الأسرة النووية: وهي وحدة تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما وقد ثبت وجود الأسرة النووية في كل مراحل التطور البشرية كما تأكد أنها ليست قاصرة على المدنيات والمجتمعات الغربية أو هي مرتبطة بمختلف صور التقدم والتحضر فقط .

٢- الأسرة الممتدة: قد تكبر الأسرة النووية رأسياً عن طريق تعاقب الأجيال أو تمتد أفقيا عن طريق إضافة وحدات نووية أخرى إليها وفي هذه الحالة تعرف الأسرة الممتدة أو المركبة وترتبط الأسرة الممتدة إلى حد كبير بنظام تعدد الزوجات الذي يوجد في كثير من المجتمعات البدوية وخصوصا داخل نطاق الثقافة الإسلامية بصفة خاصة والشرقية بصفة عامة .

هذا وإن كان مدلول الأسرة يكاد يكون واحداً في مختلف المجتمعات البدوية وإن اختلفت في تحديد نطاقها ووظائف أفرادها ومدى المسئولية المترتبة عليها، إلا أنها تخضع للعلاقات التي تربطها بمعتقداتها الدينية وتقاليدها الخلقية ونظمها الاجتماعية وما تقتضيه ظروفها

الطبيعية وأحوالها الاقتصادية، وهي بذلك يزداد نطاقها في المجتمعات البدوية فتشمل عميد الأسرة وأبنائه وأحفاده وزوجاتهم الذين يظلون مرتبطين به مادام على قيد الحياة مكونين وإياه شخصية معنوية واحدة تعتبر مسئولة عما يرتكبه كل عضو من أعضائها بأخذ الثأر منه وإن لم يكن قد ارتكب الجرم نفسه كما يحق لكل فرد منها مطالبة المعتدي على أحدهم بما يترتب له من الحقوق وإن لم يكن المعتدي عليه، وهم بالإضافة إلى ذلك مسئولون عما يرتكبه نساؤهم وبناتهم من أعمال لا تتفق والقيم الخلقية السائدة في مجتمعهم كما أن عليهم إعالة أفرادهم في عجزهم ومرضهم وضعفهم وقد يشمل ذلك من يمت لهم بصلة القرابة البعيدة المتصلة بهم حتى الجد الخامس إذ لم يكن غيرهم اقرب إليه منهم[xxxv] .

وينتسب الفرد إلى أسرة أبيه دون أخواله ويرتبط معهم بمختلف الواجبات المادية منها والمعنوية وللأب دور مهم في السيطرة على أفراد أسرته[xxxvi] .

كما أن الأسرة التي تربطها علاقات دموية قرابية مع أسر آخرى يقوم أفرادها بأدوار ووظائف تقوم أساساً على الرابطة الدموية التي تؤدي دوراً كبيراً في ظاهرة الثأر بحيث لا يشترك في القتال إلا من كانت تربطه رابطة دموية للقبيلة او للعشيرة التي وقع عليها الاعتداء، وعلى أساس تلك الرابطة يتم توزيع أفراد القبيلة إلى مناطق سكنية، ومما يشار إليه أن النسق القرابي عند المجتمعات البدوية يؤكد إعطاء أهمية بالغة بالأنساب، والنظام القرابي الذي تستند عليه البداوة العربية أولى اهتماماً خاصاً بتركيز السلطة جميعها بيد المشايخ والرؤساء، وتمتاز العلاقات الاجتماعية في تلك المجتمعات بأنها قوية جداً بسبب الدور المهم الذي يؤديه العامل القرابي، ومكانة الفرد في هذه المجتمعات جزء لا يتجزأ من المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها كالقبيلة أو العشيرة[xxxvii] .

وبالرغم من الروابط القوية التي تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض فقد خولت الأعراف والتقاليد عميد الأسرة أن يخلع أحد أفرادها ويتبرأ منه ويقطع صلته به إذا أقرته العشيرة على ذلك إذا ما ارتكب هذا الفرد ما يخل بآدابها وتقاليدها وعاداتها وقيمها الخلقية، فلا تسأل أسرته بعدها عما يرتكبه من جرم ولا يطالبها أحد بثأر[xxxviii] .

والزواج في البادية كما في الحضر يقوم في إطار الحدود التي رسمتها المعايير السائدة حسب ثقافة وأنماط وسلوك الجماعة التي تقوم بتنفيذ هذا النظام، فالزواج نظام اجتماعي يضم كثيراً من العناصر والظواهر المتشابكة كنظام الاختيار والمهر والزفاف[xxxix] .

ويختار البدوي زوجته بعناية شديدة ويحرص على أن تكون من ذوات النسب الشريف ويهتم كثيراً بسيرة والدة من يرغب في خطبتها وكذلك أخوالها، أما الخطبة فلكي تتم يجب موافقة الفتاة التي قلما ترفض رأي والدها[xl].

ويفضل الزواج المبكر في البادية حفظاً للرجل من الزلل، وكذلك للإكثار من الأطفال الذين هم رجال الغد، كما يعتبر زواج بنت العم بمثابة المثل الأعلى للزواج، ولكن هذا لا يمنع من أن يختار الرجل امرأة من عشيرة غير عشيرته مراعياً الأصول العرفية لأن بذلك يتم إنجاب أفضل الأولاد وتتحسن الذرية، أما الغريب فلا يخطب فتاة لها ابن عم إلا بعد موافقته أو بعد العلم بأنه لا يرغب في الزواج منها[xli] .

وللبدو أنواع من الزواج[xlii] :

١- زواج بالرضا والإتفاق: ويتم برضى وقبول الطرفين وبعد موافقة ابن العم الذي له الحق في وقف الزواج وقد يستدعي الأمر أن يقتل ابنة عمه .

٢- زواج بدل عن الدية: ويتم عندما يقدم أهل القاتل عدد من بناتهم إلى أهل القتيل ليتزوجوا بهن وينجبن أطفالاً يكونون واسطة لربط الأسرتين المتنازعتين عن طريق المصاهرة .

٣- زواج الخطف: ويتم بإتفاق الطرفين ولكن بمعارضة الأهل، ويلجأ العروسان لإحدى القبائل القوية حتى يتم الصلح مع الأهل .

٤- زواج بالتبادل: وذلك حين يتبادل شابان الأخوات ويطلق عليه في العراق (كصة بكصة) أي امرأة بامرأة .

أما تكاليف المهر فهي مقدار من الابل أو الغنم وقليل من الدراهم وذلك حسب قدرة العريس المادية، كما يتكلف الزوج بكل نفقات الزواج ولا يتحمل أهل الزوجة شيئاً، وقد يأخذ هؤلاء بعض الهدايا بمناسبة الزواج إذا ما كان الزوج قادراً[xliii] .

ومن أهم ملامح الأسرة البدوية إتصافها بظاهرة تعدد الزوجات رغبة في زيادة عدد الرجال القادرين على الدفاع عن القبيلة ورفع شأنها من جهة، وحماية للرجل من أي اعتداء من جهة أخرى، والزواج عند البدو حاجة اجتماعية وانسانية ضرورية لها وظيفتها الاجتماعية بخدمة الفرد والمجموع، لذا فإن زواج الأبناء والبنات يكون مبكراً[xliv] .

وللمرأة مكانة لا بأس بها في الأسرة البدوية، فهي فضلاً عن أنها تبدي رأياً فيمن يتقدم لخطبتها، يمكنها أن تهجره إلى أهلها ليتولون هم في هذه الحالة اجباره على طلاقها إن لم ترقها عشرته بعد الزواج وهي إلى جانب ذلك تشارك زوجها كل أعماله تقريباً، فتشاركه أسفاره وتحرس له مواشيه وترعاها معه، وتهيئ له كل ما يحتاج إليه في الحل والترحال علاوة على ما تؤدية بالطبيعة كزوجة وأم من شئون أخرى[xlv] .

٤- النظام الديني

يلعب الدين دوراً أساسياً في حياة البدوي، لذلك لا نجده يقسم بالله كذباً، وأعظم القسم عند البدوي أن يتناول عوداً من الحطب ويقول " وحق هذا العود والرب المعبود " مستشهداً على ما يريد أن يثبته أو ينفيه[xlvi] .

ودين البدو هو الإسلام الذي يتمسكون به وبتعاليمه أشد التمسك، والله هو الخالق لكل شئ، والبدوي لا يحلف بغير الله ومع ذلك فإنه يبتعد عن الحلف بالله صادقاً أو كاذباً، ولا يحلف البدوي زوراً لأن نتائج هذا الحلف تنعكس عليه وعلى أهله ورزقه وحياته[xlvii] .

ويؤمن البدوي بالقضاء والقدر، فما قدر عليه لابد أن يناله، لذلك فهو شجاع لا يهاب الموت، وما دام لكل أجل كتاب فإن الانسان وديعة الله، وإذا ما دنى أجل هذه الوديعة فإن البدوي يكتف بترديد " إنا لله وإنا إليه راجعون[xlviii] " .

أما الجنة والنار فيختلفان عند البدوي، فالجنة ربيع دائم حيث العشب الوفير والماء الزلال، وهو المكان الذي يتقابل فيه مع أهله وأحبائه ممن سبقوه في لقاء ربهم، وتمثل جهنم جميع الأشياء التي يكرهها من قلة ماء وعبودية لمن أقل منه منزلة، وتختفي النجوم والشمس والقمر[xlix] .

ويؤمن البدوي إيماناً راسخاً بالأحلام لأنها السبيل إلى زيارة الموتى، وكذلك لا يقوم بعمل شئ إلا بعد إستشارة النجوم ورؤية الطالع، وبهذه الطريقة البشرية البسيطة يحاول فك رموز الغيب وفهمها، وكذلك يؤمن بحسن الطالع ويعكسه على زعمائه وشيوخه[l] .

وبين أهم ما يجب أن نلحظه في هذا المجال غياب المؤسسات الدينية الرسمية عند البدو، فتصبح مسألة التدين شأناً خاصاً، ويكون الوازع اجتماعياً بعيداً عن السلطة السياسية والثقافة الدينية الرسمية، ويكون للأعراف البدوية التي قد تتناقض مع الشريعة آثارها الكبرى . ومع ذلك للبدو إيمانهم العميق، مع أن المرزوقي يتهمهم بضعف الوازع الديني منطلقاً من منظور حضري، فهو يشير بذلك إلى مسألة مدى تمسكهم بالطقوس الدينية الرسمية، إذ يعود فيعترف بأنهم يؤمنون إيماناً عميقاً بالأولياء، وبأن هذا الإيمان مستمر وراسخ في القلوب[li] .

وفي ما يتعلق بالمعتقدات الدينية عند البدو، يقول زهير مشارقة أن البدو في عصرنا الحديث ليسوا أحسن حالاً من أسلافهم، من حيث الفقه في الدين ومعرفة أوامره ونواهيه ومناسكه وعباداته، فهم يجهلون ذلك كله، وكل ما لديهم من دين هو أنهم يعتقدون بوحدانية الله ونبوة رسوله الكريم، أما باقي الفرائض فلا يقيمون لها وزناً ولا اعتباراً، ولا يصلون الأوقات الخمسة على الترتيب، بل يصلون كلما خطر لهم أن يصلوا، كما يوجد لديهم نزعة تقديس الأشجار والحجارة، كما يوجد لدى بعض القبائل التي تنزل قريباً من السواحل عادة زيارة البحر وتقديسه، كذلك يلجأ البدو إلى تكريم قبور الأولياء وأضرحة الصالحين ويقدسونها ويزوروها ويحلفوا عندها ويتبركوا بها ويقدموا لها الذبائح وينذروا النذور ويقربوا القرابين[lii] .

٥- النظام السياسي

لا يوجد نظام سياسي في المجتمع البدوي بالمعنى المفهوم عند أهل الحضر لأن القبيلة هي أساس البادية، وهي كثيرة التجوال، ولذلك لا تخضع لأي نظام معين[liii] .

والقبيلة كتنظيم هي أصلاً مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي، يرأسها أمير أو شيخ المشايخ وسلطة هذا الرئيس وراثية في معظم الأحوال وترتكز على العصبية، كما أن له عدة مسئوليات تتراوح ما بين تعيين مواضع الرعي ومواعيد الحل والترحال، وتوفير أسباب المعيشة للقبيلة، والبت في مختلف أمور الحرب والسلم وعقد الاتفاقيات مع بقية القبائل الأخرى، فضلاً عما أضفته عليه النظم الدولية الحديثة، حيث اعتبرته معظم الحكومات وسيطاً جيداً بينها وبين القبائل البدوية النافرة من السلطة[liv] .

والفرد هو قاعدة النظام السياسي في البادية وهو لا يخضع لشيخ القبيلة إلا إذا كان الخضوع صادراً من صميم رغبته وإرادته وأنه إذا لم يقتنع بحكم من الأحكام استطاع أن يعتزل ذلك المجتمع دون أن يلومه أحد أو يتعرض لعقاب، وإذا شعر بضعف الشيخ فإنه يسرع في الثورة ضده[lv] .

أما السلطة فتتركز في يد شيخ القبيلة بحكم النظام القبلي، ويتخذ الشيخ لنفسه مضيفاً أشبه ما يكون بالبرلمان، ففيه تذاع الأخبار التي تصل للقبيلة من مختلف البقاع وإليه تنزل الوفود القادمة من جهات قريبة أو بعيدة، وفي هذا المجلس البدوي تبحث وتدار كل أمور القبيلة ابتداءاً من تقرير مكان وزمان الترحال إلى إعلان الحروب وتقرير الصلح، علاوة على ما تقوم به هذه المجالس من حسم للمنازعات التي تنشأ بين الأفراد والأفخاذ، ففي هذه المجالس يبدأ التحقيق ويدلي الشهود بشهاداتهم، وتصدر الأحكام التي تستند على العرف والتقاليد . ولذلك يجب أن يكون الشيخ قوياً في شخصيته وقبيلته حتى يأتمر البدو بأمره في الرحيل والثأر والغزو وفي كل شئ[lvi] .

وشخصية الشيوخ من الوسائل الهامة لتحقيق التوافق بين الأنماط السلوكية والمعايير الاجتماعية فيتمتع هؤلاء بالسلطة والقدرة على حق اتخاذ القرارات وتنظيم الأعمال، ومرد ذلك

كله إلى الاحترام والسيادة والمودة التي يتمتع بها هؤلاء القادة لدى أفراد مجتمعهم، والتي تصبح كقوة مساعدة بالتوجيه والتأثير على أفراد المجتمع ككل[lvii] . بالإضافة إلى ما سبق عليه أن يثبت جدارته في الغزو ولا سيما إذا ربح المغانم وهذه علامة مهمة حتى يتبعه الرجال والقوم[lviii] .

والغزو هو زاد البدوي الروحي وتتطلبه الحاجة الأدبية أيضاً لاستكمال الرجولة واستجلاء مظاهر الهيبة، وهو بمثابة النزهة العسكرية للبدوي حيث يستعرض مواهبه المتفوقة، ويخوض البدوي المهالك في الغزو لا لمجرد المغانم بل لكسب التمجيد من شباب القوم ويتغنى به شعراؤهم، أما ترك الغزو فهو ضعف مذهب للحيوية، ومطفئ لنار الحمية، ولقد قال أبو بكر الصديق: " أيما أمة تركت الغزو في سبيل الله إلا ضربها الله بالذل " ، وانطلاقاً من هذا المبدأ تقوم حياة البدوي في أول نشأته على عنصرين[lix]:

أ- الشجاعة المادية

ب- الشجاعة الأدبية

أما الشجاعة المادية فتظهر في الحصول على الابل بأية طريقة ولاسيما إذا كان ذلك إذلالاً للعدو، ويكثر الغزو في فصل الصيف عندما تقل المراعي ويجوع الرجال فيخرجون باحثين عن الطعام ليسدوا رمقهم، ولكن هذا لا يمنع أن يكون للغزو قواعد وأعراف تتبعها القبائل مثل الإعلان عن الغزو بإطلاق صرخات معينة منها للتحذير، ومنها لتشجيع الرجال[lx] .

أما الشجاعة الأدبية فتتمثل في مكانة المرأة في الغزو فهي محفوظة لا تمس أو يؤخذ شئ مما يلامس جسدها كالذهب، وإذا حدث أن رجلاً أغار على النساء فإنه يجلب العار له ولقومه ويعاقب بالقتل[lxi].

٦- النظام التعليمي والصحي

تتسم حياة البدوي ببعدها عن المتعة والرفاهية اللذين نجدهما في حياة بعض أهل المدن، فيعيش هو وأسرته في جهل مطبق وأمية قاتلة، ويندر من يعرف القراءة والكتابة بينهم، وقد تزيد نسبة هؤلاء على الواحد أو الاثنين في الألف، فهؤلاء البدو مازالوا يعيشون حياة بدائية

ساذجة، فلا التعليم الديني موجود لديهم، ولا الدراسة الابتدائية المدنية معروفة بينهم، ولا المستوصفات والمؤسسات الصحية متوفرة في ربوعهم، فعلى الرغم من تمتع البدو بالهواء النقي ونور الشمس في البادية وهما من العوامل التي تقضي على الأمراض، فإن البادية لم تسلم من أمراض خطيرة تصيب المتجولين فيها، وتعد الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان من أكثر الأمراض شيوعاً بين البدو وانتشاراً في مجتمعاتهم، حتى أن الأطفال الحديثي العهد بالولادة لا يسلمون عادة من هذه الأمراض، وكذلك تنتشر أمراض الكلى انتشاراً ملموساً بينهم، وذلك لأن ما يتناولونه من طعام وشراب على قلته وبساطته لا يسلم من الآفات، فالآبار التي يرتوون منها يكثر حولها روث الجمال والأغنام وغيرها، فإذا ما صب الماء على سطح الأرض المحيطة بالبئر يجري إليها من جديد حاملاً الأوساخ وتظهر نتائج ذلك بتغيير لون الماء عادة[lxii] .

وتعتني الأسرة البدوية بمرضاها وتعالجهم مستخدمة أنواع الأدوية الشائعة والمألوفة عندهم ولاسيما الأعشاب والحشائش، وإذا استعصى الأمر فهم يستعملون الكي بالنار، وفي حالة الأمراض المعدية ولاسيما الجدري فإنهم يتركون المريض وحيداً ضماناً لسلامة باقي أفراد الأسرة وذلك بعد أن يضعوا إلى جواره شيئاً من الزاد والشراب وكذلك كلباً يحرسه حتى يشفى أو يموت، وإن كان المريض ذو مكانة بينهم فإنهم يتركون معه بدوياً يقوم على خدمته وتمريضه حتى يموت أو يشفى[lxiii] . والموت عند البدوي أمر عادي، لأنهم يؤمنون بالقضاء والقدر وأن لكل أجل كتاب، فالإنسان وديعة الله، فإذا ما أخذ الله وديعته فيجب أن يتم ذلك بلا اعتراض أو ندم ولذلك يكتف أهل البيت بالحزن والبكاء دون عويل أو ندب، وفي حالة الموت العادية يغسل الميت ويكفن ويدفن بحسب الآداب الإسلامية، أما إذا قتل في معركة من المعارك فإنه يدفن بملابسه وفي ذات المكان الذي قتل فيه ويعامل كشهيد[lxiv] .

٧- النظام القضائي

تعتبر الجريمة خروجاً عن الإرادة الجماعية، وجرحاً لمشاعر المجتمع البدوي، ولذلك تقع المسئولية على المجتمع القبلي كله، بمعنى أن يشترك جميع أفراد العشيرة البدوية في هذه المسئولية غرماً وغنماً، ففي حالات الثأر مثلاً يكون من حق أهل القتيل إن لم ياخذوا ديته طبقاً

لما هو متبع أن ياخذوا ثأرهم من أي فرد من أفراد عشيرة الجاني حتى الجد الخامس طبقاً للعرف البدوي، والثأر كنوع من أنواع العقاب الذي يمارسه المجتمع البدوي بالنسبة للفرد أو الأسرة التي ارتكبت خطأ ما، يعتبر في عرفهم الوسيلة الوحيدة لإعادة التوازن للحياة البدوية علاوة على ما يمثله العقاب من احترام للرأي العام وللنظام القبلي ككل[lxv] .

والثأر ظاهرة تمارسها الجماعات والأمم في حالات وظروف عدة، أما فيما يتعلق بالبدو يرتبط الثأر في عدم وجود سلطة أعلى تنصف المظلوم، وبقدر ما تتوفر في هذه السلطة الحيادية المنصفة تضعف نزعة الثأر، ويرى البدوي أن الاعتداء على أي فرد من أفراد العشيرة هو اعتداء على العشيرة نفسها، ويصبح الاعتداء هذا ماساً للشرف الشخصي والجماعي، أي أنه يمس العشيرة ككيان معنوي ومجتمع قائم بذاته[lxvi] .

والعقاب يختلف حسب نوع الجريمة وبحق من ارتكبت، فإذا كان القاتل والقتيل من نفس القبيلة تدفع الدية (حق الدم) عندما تثبت إدانته إن لم يكن متعمداً، أما إذا كان متعمداً للقتل فالعقاب يكون أشد صرامة وهو النفي خارج الديار لمدة سبع سنوات واعطاء أرضه وماله لأهل القتيل أثناء مدة غيابه .

ويعتبر الثأر في المجتمع البدوي واجباً ومن العار أن يتخلف عنه أحد حتى ولو بعد عدة سنوات، ولذلك يحسب البدو للثأر كل حساب ولاسيما أن الجريمة تقع على عاتق القبيلة كلها، وقد تظهر روح المشاركة بصورة فعالة في جمع الدية من كل أفراد العشيرة على أن يقوم بتوصيلها هيئة مكونة من وجهاء العشيرة ويطلق عليها بدو العراق المشية، وتتجلى أيضاً روح المشاركة في حالة استسلام الدية التي يوزع ثلثها لأهل القتيل والثلثان الباقيان يوزعان على بقية أفراد العشيرة، وإذا كان القاتل والقتيل من نفس العشيرة فعندئذ تقدم الدية من مال القاتل الخاص دون مشاركة القبيلة، وتختلف قيمة الدية حسب مكانة كل من القاتل والقتيل وقوة عشيرة كل منهما[lxvii]، ولذلك نجد أن الجريمة كإنحراف نادرة الوقوع في المجتمع البدوي، وتعتبر سلوكاً يشجبه المجتمع، ولا يتورع – حتى أهل المجرم – عن التبرؤ منه واهدار دمه أمام الملأ[lxviii] .

والمجتمعات القبلية كالمجتمع البدوي تفتقر إلى وجود أي جهاز تنفيذي أو تشريعي منظم يتولى سن القوانين الملزمة، ولا تعرف نظام المحاكم بالمعنى الضيق للكلمة، ولا توجد فيها قوانين وضعية أو صيغ أو نصوص قانونية جامدة ولكنها عندها رغم ذلك ثروة هائلة من القواعد والأحكام التي تراكمت على مر السنين نتيجة للخبرة الطويلة بحيث أصبحت تؤلف ما يعرف بإسم القانون العرفي وهذه التسمية ذاتها لها دلالاتها فهي تعني أن هذه القواعد والأحكام لها صفة الإلزام – إلى حد كبير على الأقل – وأن المجتمع يسترشد بها في النظر في المشاكل التي تقوم بين أعضائه[lxix] .

ويعتبر القانون العرفي بمثابة الدعامة التي لا تنازع في تحقيق الضبط الاجتماعي، إنه الشكل الذي ارتضته الجماعة القبلية من أجل المحافظة على بنائها التقليدي وهذا القانون يختلف إلى حد كبير عن القانون الوضعي ويرى **goodhart** أنه ليس من الضروري أن نميز بين القانون الوضعي (السائد في المجتمع الحديث) والقانون العرفي إذ أن التفرقة بينهما غير ممكنة فكلاهما مجموعة من القواعد التي تدركها الجماعة وتعترف بها ولها صفة الإلزام[lxx] .

ونظراً لأن المجتمع البدوي سريع الانتقال ويغطي مساحات كثيرة، لذلك يكون من الصعب على البدوي الرجوع إلى المحاكم، وعلى البدوي أن يصفي أموره دون الرجوع إلى أحد سوى القبيلة[lxxi] .

ومن هنا نجد أن نظام القضاء البدوي، نظام فطري يقوم على العرف والعادة، اتبعته القبائل منذ القدم، وقد تختلف تفاصيل القضاء البدوي عند بعض القبائل ولكن أصوله ثابتة ومعروفة لدى الجميع، وهذا القضاء غير مكتوب ولكن العارفين والقضاة يحفظونه عن ظهر قلب، كما يحفظون كذلك أشهر القضايا البدوية وما اتخذ بشأنها من أحكام وأسباب هذه الأحكام[lxxii] .

والقضاة لهم منزلة رفيعة بين عشيرتهم والعشائر الأخرى بإعتبارهم عنصراً فعالاً في المجتمع البدوي ككل، حيث أنهم يعكفون على حل المنازعات والوصول إلى قرار يقبله المتنازعان، والقضاء عند البدو نظام متكامل يغطي جميع النشاطات التي تشهدها الصحراء مثل

الدخالة والجيرة والكفالة والصلح والعرض والاعتداء على الضيف والغزو والسرقة، ولذلك كان لكل قضية قضاة مختصون، وإذا لم يستطع القاضي حل القضية المعروضة عليه فإنه يحولها إلى قاضي آخر، وبهذا وجد أسلوب الاختصاص في التقاضي،ويشترط في القضاة أن يتحلوا بصفات كثيرة منها[lxxiii]:

١– الدراسة .

٢– السيرة الحسنة .

٣– النزاهة .

٤– سعة الصدر .

٥– أن يتمتع القضاة بمراكز اجتماعية في عشائرهم .

٦– أن يكونوا في عصبة قومهم .

٧– أن يكونوا أذكياء حاضري البديهة لأن قواعد القضاء البدوي غير مكتوبة ولا تعرف التأجيل .

٨– أن يكون لديهم خبرات كافية بالأعراف والمبادئ المختلفة .

٩– يفضل القضاة المسنون إن وجدوا وليس هناك ما يمنع من أن يكون القاضي شاباً .

لقد قدم القضاء البدوي خدمات جليلة لأبناء البادية على ضوء الأوضاع التي كانت سائدة في الصحراء قبل استقرار الأمن في ربوع البادية، ومن الأسباب التي ساعدت القضاء على تقديم هذه الخدمات[lxxiv]:

١– وحدة المبادئ القضائية عند البدو .

٢– الإحتكاك المستمر بين العشائر عند تنقلها المستمر .

٣– اتباع العشائر الصغيرة لقوانين العشائر الكبيرة المشهورة .

٤– الإجماع بين العشائر على الأفعال التي تعتبر في حيز المحظورات مثل قضايا الدم والعرض، وكذلك الإجماع على الأفعال الشريفة مثل حماية المستجير وإكرام الضيف ومساعدة الدخيل .

٥- الإتفاق على تحديد أساليب الإجراءات المتبعة لكل المنازعات وتحديد العائلات المخصصة بها .

ولقد ازداد عدد القضاة وكبرت أهميتهم بعد أن كبرت القبائل وتشعبت وأصبح من الصعب الذهاب إلى قضاة معينين، ولذلك أصبح لكل قبيلة قضاتها .

خـــــاتمة

لقد تناول هذا الفصل مفهوم القيم الاجتماعية كما تم التعرض لمفهوم القيم من منظور وسيولوجي وسيكولوجي وكذلك من المنظور الاسلامي ، وتم التعرف علي اهميتها وتصنيفتها وخصائصها ، كما تناولت فيه الباحثة بشئ من التفصيل مصادر اكتساب القيم من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية والدور الذي تلعبة كلا من الاسرة والمدرسة في اكتساب القيم ، كما اشارت لدور جماعة الرفاق ودور العبادة ودور وسائل الاعلام الايجابي منه والسلبي في تبني قيم المجتمع ونشر قيم جديدة ، كما تم الاشارة لوسائل الاتصال الحديثة (الانترنت – المحمول) وما تحدثه من تأثير في القيم وتم العرض للنواحي الايجابية والتأثيرات السلبية علي منظومة القيم .

المصادر والمراجع

(i) مصطفى الخشاب: علم الاجتماع ومدارسه (القاهرة: مطبعة البنيان العربي، ١٩٥٥) ص ٧٩ .

(ii) نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الاسلامي ونظمه (بيروت: دار الشروق، ٢٠٠٧)، ص٥٦ .

(iii) ابراهيم عثمان: مقدمة في علم الاجتماع (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص٢١٥ .

(iv) محمد عبده محجوب، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية – منهج وتطبيق (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٤)، ص٢٥٠.

(v) إدريس عزام وآخرون، المجتمع الريفي والحضري والبدوي، (القاهرة: الشركة العربية المتحدة، ٢٠١٠)، ص١٥.

(vi) دولت صادق: رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم، الجزء الثاني، ادارة الشئون الاجتماعية والعمل، ص٣٨٠.

(vii) guy rocher: ageneral production to sociology, canada macmillan, 1972, p 21 .

(viii) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٤)، ص ص ٢٦٤– ٢٦٥ .

(ix) guy rocher,op,cit,p 214.

(x) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧) ص١٥٨ .

(xi) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص١٥٩ .

(xii)rey capot: the present stale of nomadism in procceeding of the paris sympasius, u.n.s.o.paris,1962,p 303 .

(xiii) أحمد أبو هلال وآخرون: تيسير تعليم البدو في الوطن العربي، المنظمة العربية للتدريب والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٤، ص٤٠ .

(xiv) شاكر مصطفى سليم: قاموس الأنثروبولوجيا، (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨١)، ص٣٦٠.

(xv) محمد عبده محجوب، الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، (الكويت: وكالة المطبوعات، ب ت)، ص٣٩.

(xvi) محمد عبدو محجوب: مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية – منهج وتطبيق (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٤)، ص٢٤٥ .

(xvii) محيي الدين صابر ولويس مليكة: البدو والبداوة – مفاهيم ومناهج (لبنان: سرس الليان، ١٩٦٦)، ص٣٠ .

(xviii) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص١٦٥ .

(xix) أحمد أبو زيد: المجتمعات الصحراوية في مصر (القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٠) ص٤٥.

(xx) إدريس عزام وآخرون: المجتمع الريفي والحضري والبدوي، مرجع سابق، ص ١٨ .

(xxi) محمد عبده محجوب: مدخل سوسيوانثروبولوجي في دراسة القضاء البدوي، مثال من قبائل أولاد علي في الصحراء الغربية المصرية، الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ندوة البداوة في الوطن العربي، ١٩٨٣، ص١١٦ .

(xxii) صلاح الراوي: الشعر البدوي في مصر، الجزء الاول (مصر: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٨)، ص ١١٥ .

(xxiii) محمد عبد الهادي دكلة وآخرون: المجتمع الريفي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (جامعة بغداد: مطابع جامعة الموصل، ١٩٧٩) ص ٧٤ .

(xxiv) إدريس عزام وآخرون: المجتمع الريفي والحضري والبدوي، مرجع سابق، ص ١٩ .

(xxv) صلاح الفوال: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص ٢١٢ .

(xxvi) محمد عبد الهادي دكلة واخرون: المجتمع الريفي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (جامعة بغداد: مطابع جامعة الموصل، ١٩٧٩)، ص٧٥ .

(xxvii) محمد عبده محجوب: الأنثروبولوجيا السياسية، مقدمة لدراسة النظم السياسية في المجتمعات القبلية (الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦)، ص ص ١٦١-١٦٢ .

(xxviii) مأمون طربية: علم الاجتماع في الحياة اليومية (بيروت: دار المعرفة، ٢٠١١)، ص ٩٦ .

(xxix) إدريس عزام وآخرون: مرجع سابق، ص ٢٠ .

(xxx) إدريس عزام وآخرون: مرجع سابق، ص ٢٣ .

(xxxi) فهمي سليم الغزوي وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٤) ص ٢١١ .

(xxxii) عبد الجبار الراوي: البادية، ط٢ (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٤٩) ص٥٠ .

(xxxiii) حليم بركات: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، ط ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦) ص ٦٥ .

(xxxiv) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص١٨٣ .

(xxxv) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص ص ١٨٩-١٩٠ .

(xxxvi) مجيد حميد عارف: الاثنوغرافيا والأقاليم الحضارية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (جامعة بغداد: مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٤) ص١١٥ .

(**xxxvii**) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص١٧٢ .

(**xxxviii**) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ص ١٩٩–٢٠٠ .

(**xxxix**) فاروق مصطفى اسماعيل: العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي (الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥) ص١٣١، ص ١٣٣ .

(**xl**) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

(**xli**) عبد الجليل الطاهر: خصائص المجتمع القبلي، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية، الدورة الخامسة، من ١٦–٢٥ مايو، (القاهرة: دار الهنا للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ص ١٦٢ .

(**xlii**) نفس المرجع السابق، ص ١٦٣ .

(**xliii**) عبد الجبار الراوي: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص ١٩٣ .

(**xliv**) فاروق مصطفى اسماعيل: التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠) ص١٣٤ .

(**xlv**) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص ١٩٣ .

(**xlvi**) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ١٦٥ .

(**xlvii**) محمد أبو حسان: التراث البدوي القضائي نظريا وعمليا، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، ١٩٧٤، ص ٩٧ .

(**xlviii**) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ١٦٥ .

(xlix)R.P.DICKSON H: the arab of the desert , london, george allen unwin itd . foruth ED, 1967,pp 212,213 .

(l) ROCHER GUY : OPCIT, PP 225,226 .

(li) حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الاحوال والعلاقات (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠)، ص١٩٦ .

(lii) محمد زهير مشارقة: الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨)، ص٢٧٣-٢٧٨ .

(liii) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ١٧٨ .

(liv) صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي، مرجع سابق، ص ٢١١ .

(lv) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ص ١٨٠ ، ١٩٧ .

(lvi) نفس المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(lvii) فاروق مصطفى اسماعيل: العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي، مرجع سابق، ص ٤٤٧ .

(lviii) R.P.DICKSON H: OP CIT, P 117 .

(lix) عبد الجبار الراوي: البادية، مرجع سابق، ص ص ٢٤٠، ٢٤١ .

(lx) عبد الجليل الطاهر: خصائص المجتمع القبلي، مرجع سابق، ص ١٦٤ .

(lxi) R.P.DICKSON H: OP CIT, P 124 .

(lxii) مكي الجميل: البداوة والبدو في البلاد العربية، دراسة لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ووسائل توطينهم، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي، (لبنان: سرس الليان، ١٩٦٢)، ص ص ٥٧،٥٨ .

(lxiii) عبد الجبار الراوي: البادية، مرجع سابق، ص ٢٧٤ .

(lxiv) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ص ١٧٢،١٧٣ .

(lxv) نفس المرجع السابق، ص ١٨٢ .

(lxvi) أحمد عويدي العبادي: من القيم والآداب البدوية، سلسلة من هم البدو (عمان: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٧٦)، ص١٩٩ .

(lxvii) عبد الجليل الطاهر: خصائص المجتمع القبلي، مرجع سابق، ص ١٦٤ .

(lxviii) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ١٨٢ .

(lxix) محمد أحمد غنيم: الضبط الاجتماعي والقانون العرفي في شمال سيناء دراسة اثنوجرافية، جامعة المنصورة، مجلة كلية الاداب، ع١٧، ١٩٩٥، ص ص٩٨-٩٩ .

(lxx) فاروق مصطفى اسماعيل: العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي، مرجع سابق، ص٢٢٥ .

(lxxi) محمد أبو حسان: التراث البدوي القضائي، مرجع سابق، ص ٥٠ .

(lxxii) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، مرجع سابق، ص ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(lxxiii) محمد أبو حسان: التراث البدوي القضائي، مرجع سابق، ص ص ٦٨ ، ٦٩ .

(lxxiv) محمد أبو حسان: التراث البدوي القضائي، مرجع سابق، ص ص ٤٧- ٥٣ .